فقه العلاقات البشرية"(3) عبر ديوان "أنوار النفس"

الكتاب الثالث: "قراءة فى عيون الناس" اللوحة الرابعة "البركة"

نشرة "الإنسان 2023/07/15
السنة السادسة عشر – العدد: 5796

بروفيسور يحيى الرخاوي – الطب النفسي، مصر
yehiatrakhawy@hotmail.com

مضطر أنا للعودة إلى إشكالة أن المنطقة الحساسة التى تميز الإنسان كائنا راقيا لا يستحق هذا الاسم "الإنسان" إلا حالة كونه "متواصلا مع إنسان" مثله، دليل هذا هو ما يوصف عشوائيا بأن "الحب"!!

كلمة "الحب" مثل كلمات الحرية والديمقراطية وحتى كلمة "الله"، (وليس حقيقة الله طبعا – النفّرى)، تمثل عندى إشكالة بلا حدود

المهم([2]) هو أن نفرق بين الحب الحب، والحب كنظام الحب، والحب اللاحب.

العلاقات التجاذبية السريعة، تتم غالبا، خاصة فى بلاد تسمح بعلاقات حرة سهلة)هكذا تسمى(دون تردد أو خوف، كما أنها تكسر القيود)إن كانت ثمة قيود) سواء كانت

مقدمة:

مضطر أنا للعودة إلى إشكالة أن المنطقة الحساسة التى تميز الإنسان كائنا راقيا يستحق هذا ا□سم" **الإنسان** "إ□ حالة كونه" **متواصلا مع إنسان** "مثله، دليل هذا هو ما يوصف عشوائيا بأن "الحب!!"

مرة أخرى: كلمة "الحب" مثل كلمات الحرية والديمقراطية وحتى كلمة "الله"، (وليس حقيقة الله طبعا – النفّرى)، تمثل عندى إشكالة بلا حدود، لن أكرر ما سبق أن قلته فيها عشرات المرات، فالمهم [2]هو أن نفرق بين الحب الحب، والحب كنظام الحب، والحب اللاحب.

العلاقات التجاذبية السريعة، تتم غالبا، خاصة فى بلاد تسمح بعلاقات حرة سهلة(**هكذا تسمى**)دون تردد أو خوف، كما أنها تكسر القيود(إن كانت ثمة قيود) سواء كانت قيودا أخلاقية فوقية، أم دينية، أم تقاليد، لأنها تحدد الغرض منها: رغبة متبادلة، واتفاق معلن، وتخلٍّ جاهز، شىء أشبه **<u>بالوجبات السريعة اللذيذة</u>**.

هذه العلاقات تقوم بالواجب أحيانا، و□ يمكن شجبها على إطلاقها إ□ بمقاييس أخلاقية ترتبط أساسا بالثقافة التى تتم فيها، فلكل ثقافة منظومتها الأخلاقية التى تسمح أو تسمح، تقر أو تجُبّ، ونحن إنما نسعى إلى التعرف على الطبيعة البشرية بما تيسر من حدس وتجارب وإبداع، وما أتيح من العلم.

يبدأ المتن هكذا :

(1)

والعين الهادية الناعمة:

بتقول أنا اهُ□

أنا مِشْ خايفة□

لو ا□قى حد يقرّب لى

و□قينى برضُ□ بأقرّب لُ□

حاخده بالحضن،

وكإنِى باحب.

ميتّى رايقة□، و هاديْة□، وخضراَ...'

.....وخلاصْ.

أهم ما يميز مثل هذه العلاقات هو أنها □ تدّعى الحب، بل أحيانا تشترط أ□ يكون فى هذا التقارب المحدود حبا [3] التعبير قرب نهاية هذه الفقرة فى القصيدة" **وكأنى باحب**"، □ يظهر عادة فى وعى من يتعاطون هذه الوجبات اللذيذة المؤقتة السريعة، وهو تعبير □ يتهم هذه العلاقات بالزيف، لكنه قد يكون قد حضرنى – شعرا – بمعنى **ما دام الحب الحقيقى**) انظر بعد (**غير موجود، فهيا "نلعب حبا"،**) مثلما كنا صغارا **نلعب** "**بيوتا** "فى الشرفة، ونهدّها بمجرد أن تنادى علينا أمنا، أو نسمع صوت المفتاح يعلن قدوم والدنا من العمل.)

كل ما أرجوه منكم هو أن نؤجل الأحكام الآن ومن □ يستطيع أن يفصل حماس□ الجاهز، وقيم□ الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه ا□جتهادات غير المألوفة، فليعتبر أننا ننقد شعرا □ أكثر (هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها')

إذا تأملنا أن مجموعة هذه القصائد تكشف – ضمن ما تكشف – ذواتنا المتعددة، فتعرى الزيف أو تبرره أو تسميه تلطفا باسم أرقّ، وربما أصدق، فإننا سوف نجد أن أغلب قراءتنا لهذه القصائد فى هذا الكتاب بصفة عامة، ونحن نستلهم منها الطبيعة البشرية، نحاول أن نفك من خلالها بعض شفرة النص البشرى، ربما نضيف ملاحظات هامة، وربما أساسية على عملية العلاج النفسى.

فكرة **العيون التى بداخل العيون** هى أساسية من حيث إنها شهادة مباشرة عن إمكانية الحوار مع ذوات متعددة، وبالتالى هى فكرة تتجاوز لغة الشعور واللاشعور، مع أنه □بد من ا□عتراف بالفضل لسيجموند فرويد بهذا السبق با□شارة إلى العالم التحتى، على الرغم من تعامله مع "الهو" باعتباره "شوُاشاً " Chaosليس له حضور إ□ من خلال الشعور الظاهر (الأنا)، القراءة هنا تتجاوز ذلك، كما تتجاوز أيضا ثلاثية إريك بيرن، (الذوات الثلاثة: الطفل واليافع والوالد) (**فهى تتعامل مع أى عدد من الذوات باعتبارها كيانات كاملة، كل ذات منها (تنظيم – مستوى وعى – عقل آخر) لها موقف، ومشاعر، وفلسفة، ورؤية، □ تناقِض بالضرورة الظاهر**، لكنها قادرة بشكل غير مباشر على التعبير عن كل ذلك، إما بالأعراض، وإما من خلال آليات العلاج النفسى، وإما غير ذلك.

القصائد عموما فى هذا العمل تجرى على لسان صاحب أو صاحبة العيون، ثم على لسان الذوات داخل العيون، ثم داخل داخل العيون، إلى ما يمكن من مستويات وتنظيمات متعاقبة متكاملة متبادلة، أومتعارضة ناقدة محذرة ساخرة.

نبدأ بالنافذة الخارجية، و"صاحبتنا الواجهة" تفتحها وتنادى، وتسمح، فهى تنكر خوفها، وتعلن استعدادها وجاهزيتها بنداء هادئ وسْنان، مرة أخرى:

والعين الهادية الناعمةْ، بتقول أنا اهُ□.،

أنا مِشْ خايفة□،

لو ا□قى حد يقرّب لى،

قيودا أخلاقية فوقية، أو دينية، أو تقاليد، لأنها تحدد الغرض منها: رغبة متبادلة، واتفاق معلن، وتخلٍّ جاهز، شىء أشبه بالوجبات السريعة اللذيذة

هذه العلاقات تقوم بالواجب أحيانا، ولا يمكن شجبها على إطلاقها إلا بمقاييس أخلاقية ترتبط أساسا بالثقافة التى تتم فيها، فلكل ثقافة منظومتها الأخلاقية التى تسمح أو لا تسمح، تقر أو تجُبّة

أهم ما يميز مثل هذه العلاقات هو أنها لا تدّعى الحب، بل أحيانا تشترط ألا يكون فى هذا التقارب المحدود حبا

كل ما أرجوه منكم هو أن نؤجل الأحكام الآن ومن لا يستطيع أن يفصل حماسه الجاهز، وقيمه الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه الاجتهادات غير المألوفة، فليعتبر أننا ننقد شعرا لا أكثر (هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها

فكرة العيون التى بداخل العيون هى أساسية من حيث إنها شهادة مباشرة عن إمكانية الحوار مع ذوات متعددة، وبالتالى هى فكرة تتجاوز لغة الشعور واللاشعور

وِِقينى برضِ بأقرّب لِ،

حاخده بالحضن،

وكإنى باحب."

لكن ثَمَّ عينٌ داخل هذه العين هى العين الداخلية الناقدة الحذرة المحَذِّرة تتربص بها، فتنقض بمجرد إعلان هذا الاعتراف الضمنى بزيف الجارى" **:وكإنى باحب**." تنتهز هذه العين الأخرى الداخلية الفرصة فتقفز متمادية فى تعرية هذه العلاقة قبل أن تبدأ هكذا:

(2)

والعين التانية جوّاها بتقول عنْدِكْ:

باين على شكلِك مش خايفِ؟

خايفة ليقولوا عليكى هايفة؟

دانا خوفى اتجمّد من خوفى،

دانا خايفِ أخاف

والمية هاديِ عشانِ بِركَـة،

مش نيلْ وِ بحـرْ

حسب تحذير هذه العين الأخرى الناقدة نكتشف أن اختفاء الخوف كان خارجيا، وهو الذى سمع بالنداء الظاهرى الجاهز، فهو إنكار للخوف، أكثر منه طمأنينة حقيقية، إذن فالدعوة الجريئة البادئة، ليست سوى الغطاء الذى يسهل مثل هذه العلاقات السطحية السريعة المؤقتة، لحساب الانسحاب إلى الداخل الذى يساوى ما أشرنا إليه مكررا تحت فئة الموت النفسى، وكأنه اعتراف بأن هذه الوجبات تسمن وِ تغنى من جوع، وإنما هى تؤكد اختيارا إمراضيا انسحابيا خامدا.

مشوارى طويلْ.

خلّونى فْ حالي.

البِنْـجْ حَـلالـِى.

موتِى بيحلالى، يا خـالـى.

هل كل ذلك يبرر شجب هذه العلاقات السطحية التسكينية على طول الخط؟

بصراحة **:ليس بالضرورة.**

قد ينجح مستوى العلاقات من نوع" **الوجبات السريعة**"، تلك، طالما أن هذه العين الداخلية الناقدة المتربصة **<u>موافِقة</u>، أو <u>نائمة</u>، أو <u>مُستبعدة</u>**، حتى لو أقرت – ساخرة أو راضية – بأن هذا التخدير الإنكارى هو موت لذيذ" **موتى بيحلالى ياخالى.**"

فى العلاج النفسى – كما هو فى الحياة عموما – ليس المطلوب أن نرفض ومن البداية هذه المستويات التى نسميها مسطحة أو سريعة أو مؤقتة ما دامت هى العلاقات الممكنة فى البداية على الأقل.

إذا بدأنا بتصديق كل هذه التعرية القاسية كما جاءت فى القصيدة، فكيف يتدرج نضج العلاقات بقدر تدرج الكشف وجدل النمو!!

ليس المطلوب هو أن نعلن ومن البداية كل هذا الشجب الذى يتبدى لنا من خلال هذه التعرية القاسية هكذا، بل دعونا نقرأ هذا الشجب فى عكس الاتجاه حين نقرأ هذه التعرية باعتبارها ليست دعوة حقيقية للتقدم نحو علاقات أعمق واصدق، بقدر ما هى **مبرر لرفض العلاقة مع الآخر** من حيث المبدأ، إعلانا للخوف الأزلى الأعمق من الحب الأعمق والأصدق، من الاقتراب، وبالتالى فإن هذا النقد الساخر – برغم صدقه – قد يوظف إ لدفع الآخر بعيدا، تمهيدا للانسحاب الشيزيدى (إلى الطور

لابد من الاعتراف بالفضل لسيجموند فرويد بهذا السبق بالاشارة إلى العالم التحتى، على الرغم من تعامله مع "الهو" باعتباره "شواشاً" Chaos ليس له حضور إلا من خلال الشعور الظاهر (الأنا).

القراءة هنا تتجاوز ذلك، كما تتجاوز أيضا ثلاثية إريك بيرن، (الذوات الثلاثة: الطفل واليافع والوالد) فهى تتعامل مع أى عدد من االذوات باعتبارها كيانات كاملة، كل ذات منها (تنظيم – مستوى وعى – عقل آخر) لها موقف، ومشاعر، وفلسفة، ورؤية، لا تناقِض بالضرورة الظاهر.

لكن ثَمَّ عينٌ داخل هذه العين هى العين الداخلية الناقدة الحذرة المحَذِّرة تتربص بها، فتنقض بمجرد إعلان هذا الاعتراف الضمنى بزيف الجارى: "وكإنى باحب

حسب تحذير هذه العين الأخرى الناقدة نكتشف أن اختفاء الخوف كان خارجيا، وهو الذى سمع بالنداء الظاهرى الجاهز، فهو إنكار للخوف، أكثر منه طمأنينة حقيقية

الدعوة الجريئة البادئة، ليست

اللاعلاقاتى)

"**الخوف من الحب** "الحقيقى، هو الإشكالة الأساسية فى كل هذا العمل (هذا الديوان، هذه التداعيات)، هنا ننبه أن المبالغة فى التحذير من تجنب العلاقات جميعا هكذا من حيث المبدأ، فى انتظار الأضمن والآمَن، هو تعرية قاسية تُجهض أية محاولة بدئية أن نقبل أن" **نلعب حبا**"، إلى حين أن نعرف "**كيف نحب**"، أرجو أ تُستقبل وجهة النظر هذه باعتبارها دعوة للاستسهال أو تبريرا للإنكار، فلعلها نوع من **نقد النقد، وأيضا دعوة لتقبل الواقع، والتدرج على الطريق.**

الذين يمارسون العلاج النفسى المكثف (العميق(، يقعون فى مأزق حرج حين يتصورون أن ممارستهم بد أن تقتصر على تعهد إتاحة الفرصة لعلاقات موضوعية أبقى وأرقى، المفروض أن **العلاج النفسى** هو علاقة مثل أية **علاقة بشرية، تبدأ بالموجود، وتتدرج إلى الممكن، فالممكن**، وهكذا، بدون توقف، وكلما انتقل العلاج من مرحلة إلى مرحلة، تعاد صياغة ا تفاق، إلى ممكن آخر، أبعد وأرقى، وهكذا. هذا ما يمكن أن نسميه :**تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق، وهو وارد دائما فى كل مجال ومع أى بشر يمارس العلاقات الإنسانية من أى نوع، والعلاج النفسى بعض ذلك.**

هذه القصيدة، مثل معظم قصائد الديوان، تبالغ فى تعرية ما أسميناه" **نلعب حبا**"، لعبة" **الوجبات السريعة**"، مع أن هذا المستوى قد يكون جيدا من حيث المبدأ، حتى فى العلاقات المستمرة المنظمة اجتماعيا أو دينيا، لكنه ليس بالضرورة غاية المراد، أو كل الإيجابى لكل مراحل النمو.

إن تحديد الفرق، بين" **الحب**"، و بين أن" **نلعب حبا**"، هو أمر مهم على الأقل من الناحية النظرية، ومن الناحية المهنية العملية فهو يمثل مسألة هامة فى قدرة المعالج على قياس مهمته، خاصة فيما يتعلق بمنع النكسة، "اللعب حبا" – خاصة على مستوى العلاج النفسى – **عمره قصير** عادة، والكائن البشرى يرضى به كمرحلة، وأيضا المعالج يفعل ذلك، ربما يكون هذا مثلما يرضى الطفل بالزحف حتى يتمكن من المشى، أما أن يكون الزحف هو البداية وهو النهاية، فهذا ليس إ إعلان لتقزيم النمو، وتوقفه.

الفرق بين المستويين:

تواصِلُ العين الناقدة هنا التعرية والتوعية بطبيعة الصفقة الظاهرة، فتنبهنا إلى ما ينخدع فيه "الآخرون" من أن هذه الواجهة من الوجود التى أتمت ا تفاق على لعبة الحب، هى منطقة، مهما بدت جميلة ولذيذة، هى فى النهاية ساكنة بلا موج و حركة ممتدة إ فى مجالها المحدود، وأن الخضرة التى كانت توحى بالنضارة والطزاجة قد تتكشف عن قشرة من الفطر."

والمية هاديا عشانِ بِركَة،

مش نيلْ و بحـْر"

هذه الوجبات السريعة، على فرض سماح المجتمع، وتماشيها مع منظومة قيم صاحبها، يمكن أن تعد ممارسة لذيذة أو مفيدة، باعتبارها أيضا حق طبيعي لجوعٍ طبيعى، ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية فى حركتها النمائية طول الوقت، و هى غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله، وإذا كانت أغلب الحيوانات تجد بديلا عن مثل هذه العلاقات الشهوية المؤقتة، ولو كرشوة لمعظم إناثه حتى يواصلن مهمة التكاثر (دون شرط التواصل)، فإن الإنسان قد تجاوز هذه الرشاوى (المفروض يعنى)، وأصبح التواصل عنده متعدد المستويات معا، بما فى ذلك هذا المستوى الّذِى الظاهر الذى رضى بلعبة الحب اضطرارا، هذا المستوى نفسه، يود لو أنه يكتمل ببقيته، فهو" **يعرض** "ضمنا على وعيه الداخلى أن يشارك فى العلاقة، بد من أن يبتعد استسلاما بعد أن ألقى فى وجه اللاعبين كل هذا النقد الذى كاد يفسد تلك الوجبة من البداية.

هذا "الكيان " الناقد الساخر، هو الذى ارتضى التخدير طواعية وهو يعلن" **الخوف من الحب** "الحقيقى، بانسحابه، وكأنه يعرف – متألما أو مستسلما أو كليهما – أن الحب الحقيقى له

سوى الغطاء الذى يسهل مثل هذه العلاقات السطحية السريعة المؤقتة، لحساب الانسحاب إلى الداخل الذى يساوى ما أشرنا إليه مكررا تحت لافتة الموت النفسى، وكأنه اعتراف بأن هذه الوجبات لا تسمن ولا تغنى من جوع، وإنما هى تؤكد اختيارا إمراضيا انسحابيا خامدا.

قد ينجح مستوى العلاقات من نوع "الوجبات السريعة"، تلك، طالما أن هذه العين الداخلية الناقدة المتربصة موافقة، أو نائمة، أو مُستبعِدة، حتى لو أقرت – ساخرة أو راضية – بأن هذا التخدير الإنكارى هو موت لذيذ

فى العلاج النفسى – كما هو فى الحياة عموما – ليس المطلوب أن نرفض ومن البداية هذه المستويات التى نسميها مسطحة أو سريعة أو مؤقتة ما دامت هى العلاقات الممكنة فى البداية على الأقل.

دعونا نقرأ هذا الشجب فى عكس الاتجاه حين نقرأ هذه التعرية باعتبارها ليست دعوة حقيقية للتقدم نحو علاقات أعمق وأصدق، بقدر ما هى مبرر لرفض العلاقة مع الآخر من حيث المبدأ، إعلانا للخوف الأزلى الأعمق من الحب الأعمق

مواصفات أخرى، كما أنه يحتاج إلى تعاقدات أخرى، أهمها :**<u>ذلك الاطمئنان إلى عدم التخلى</u>**، والذى يبدو أنه افتقده فى هذه الوجبات السريعة، فكان كل هذا النقد الساخر، فالانسحاب المتمادى.

يمضى هذا الكيان الداخلى يؤكد موقف عدم الأمان الأساسى فى الوجود البشرى، فهو يرفض منح الثقة للآخر دون ضمانات (مستحيلة عادة)، الخوف من العلاقة المهتزة، هو خوف من التخلى قبل الأوان، خوف من الخداع، من عدم تبادل مغامرة الخوض فى علاقة، ويبدو أنه هو السبب فى إفساد كل مستويات التقارب.

والأصدق، من الاقتراب

هذا النقد الساخر – برغم صدقه – قد لا يوظف إلا لدفع الآخر بعيدا، تمهيدا للانسحاب الشيزيدى (إلى الطور اللاعلاقاتى)

(3)

عايزنّى أصحَى؟

وجهنّم خوفى مالْيانِى،

كما إبر التلْجْ المحميّة؟!

والناس حوالىّ بتتمنظر، زى ما هيَّا!!!؟

من حقـي أبعدهم عنـى،

وا أيّها حاجة تطمِّنِّى.

الخوف من الحب" الحقيقى، هو الإشكالة الأساسية فى كل هذا العمل (هذا الديوان، هذه التداعيات)

هذا المستوى الداخلى، الذى بدا لنا فى أول الأمر أكثر يقظة، وأمانة فى الرؤية، أصبح – بانسحابه هكذا – مشاركا ضمنا فى لعبة نفى الآخر، أو على الأقل: هو يعلن أن العلاقة المعروضة بديلا عن العلاقة السطحية ليست حاضرة لإروائه، إنه بإعلانه ذلك يقول :**<u>أنا لا يوجد ما يطمئن فى كل ما حولى ومن حولى</u>**، وبالتالى فإنه بإصراره على **<u>إبعاد الآخر الحقيقى (إن وجد أو وعد)</u>**، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه ابتداء، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته.

أن المبالغة فى التحذير من تجنب العلاقات جميعا هكذا من حيث المبدأ، فى انتظار الأضمن والآمَن، هو تعرية قاسية تُجهض أية محاولة بدئية أن نقبل أن "نلعب حبا"، إلى حين أن نعرف "كيف نحب

هذه المشاركة من الوعى الداخلى يمكن أن تكون نوعا من المناورة لتشويه ما بدا أنه وافق عليه، فهو يتمادى فى تعرية للصفقة الظاهرة أكثر سخرية وقسوة، وكأنه يؤكد مرة أخرى من جديد أنها لعبة" **كنظام الحب**"، بل إنها لعبة" **الحب الزائف** :"حتى تبدو الصفقة رسما كاريكاتيريا متحديا وهو يقول:

أعملها وكإنّى كإنّى،

أتمايلْ، يتقربْ مِنّى.

أرسمْها: عايزة، ومـغـْمُوزَةْ،

أشاورْ لـُه، يفتحْ لى كازوزةْ.

أرجو ألا تُستقبل وجهة النظر هذه باعتبارها دعوة للاستسهال أو تبريرا للإنكار، فلعلها نوع من نقد النقد، وأيضا دعوة لتقبل الواقع، والتدرج على الطريق

الشائع عن هذه الوجبات السريعة، أنها رغبة صريحة متبادلة بين اثنين، وهذا صحيح.

"ارسمها عايزة، ومغموزة"،

أشاورله، يفتح لى كازوزة"،

لكن إذا كان هذا الكيان الداخلى غير راض بهذه الصفقات، أو على الأقل غير قانع بها، فلماذا لا يستيقظ، وينشط ويغامر وهو يلوّح بعلاقة حقيقة؟

ها هو يرد علينا بمبرراته التالية:

الذين يمارسون العلاج النفسى المكثف (العميق)، يقعون فى مأزق حرج حين يتصورون أن ممارستهم لا بد أن تقتصر على تعهد إتاحة الفرصة لعلاقات موضوعية أبقى وأرقى

(4)

مانا لو حاصْحَى،

<u>ما انَا لازمْ اخافْ</u>

<u>وأموتْ مالخوفْ</u>

وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِسْ.

وانا خايفْ لا أحِسْ، وخايفَةْ أبُصْ

هكذا أعلن الداخل صراحة أن" **الخوف من الحب** "ليس خوفا من الحب ذاته، بقدر ما هو **تحسّبا للترك**، يتعاظم هذا الخوف لدرجة الرضا بالموت جوعا، أو الموت شللا بلا حراك، تجنبا لهذا الرعب من الترك، وهذا ما جاء أيضا فى ديوانى "سر اللعبة" تحديدا: فى نفس قصيدة" **جلد بالمقلوب** "بالفصحى كالتالى:

لكن الموت الواحد، أمرٌ حتمى ومقدَّر

أما فى بستان الحب، فالخطر الأكبر:

أن تنسونى فى الظل

ألا يغمرنى دفء الشمس

أو يأكل برعم روحى دود الخوف،

فتموت الوردة فى الكفن الأخضر،

لم تتفتح،

والشمس تعانق من حولى كل الأزهار،

هذا موت أبشع

العلاج النفسى هو **فن تقدير <u>التناسب</u> بين جرعات الرؤية، <u>وصعوبة الموقف</u>، وقدر <u>الخوف</u>**، ثم هو **فن <u>تقسيم هذا التقدير على مراحل العلاج المختلفة</u> ما أمكن ذلك.**

الخوف المشروع والضرورى يأتى من مغامرة خوض عمق التداخل فى العلاقة بين البشر، العلاقة العلاجية وغير العلاجية، ذلك العمق الذى يسمح بإعادة الولادة (البعث) من خلال تجديد الوعى "معا."

هنا تصبح البصيرة رائعة ومعطلة أيضا، وهى تنشط فى العلاج كما تنشط فى أية علاقة نمو بين بشر وبشر، هى خبرة موت فبعث بشكل ما، والبعث هنا هو تخليق لوعى جديد يتولد من تجديد العلاقة من خلال اختراق هذا الخوف لاستعادة صدق العلاقة وحركيتها وأصالتها، فى قصيدتنا الحالية نقرأ:

"وارجع أصحى ألقانى باحس"،

هذا خوف آخر غير الخوف من الترك أو النسيان الذى أشرنا إليه حالا، **هو خوف جديد مسئول ومبرر، لأن□ المغامرة فى اتجاه الإقرار باحتمال الاعتراف المتبادل مع آخر حقيقى، يُعتمد علي□، ويبقى فى وعينا حتى لو رحل.**

هذا نموذج بعيد المنال جدا جدا، وذلك نظرا لقصور مرحلة نمو البشر فى مرحلة تطورهم الحالية، وإن كانوا على الأرجح فى الطريق إليه أكثر فأكثر، **العلاج النفسى هو فن اختراق هذه الصعوبة من احتمال اقتراب يعطى فرصة حياة تستأهل.**

ليس معنى أن "الآخر" هو نفسه "فى حال" □ تسمح له بإعطاء كل الأمان المطلوب، أن نلغى محاولة عمل علاقة بشرية كلية كما يلوح الأمل فى ذلك برغم الخوف كما يلى:

خايفة أطمع فْ وجوْدك جنْبِى

على ما اصْحَى واموتْ وارْجَعْ أصْحَى،

حاتكونْ مش فاكر حتى انا مين

أوْ كُنّا فْ إيا□.

إن ضمان التخفيف من رعب "الترك) "**الهجر**(، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استبعادية بشكل

أن العلاج النفسى هو علاقة مثل أية علاقة بشرية، تبدأ بالموجود، وتتدرج إلى الممكن، فالممكن، وهكذا، بدون توقف، وكلما انتقل العلاج من مرحلة إلى مرحلة، تعاد صياغة الاتفاق، إلى ممكن آخر، أبعد وأرقى، وهكذا

ما يمكن أن نسميه: تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق، وهو وارد دائما فى كل مجال ومع أى بشر يمارس العلاقات الإنسانية من أى نوع، والعلاج النفسى بعض ذلك.

تبالغ فى تعرية ما أسميناه "نلعب حبا"، لعبة "الوجبات السريعة"، مع أن هذا المستوى قد يكون جيدا من حيث المبدأ، حتى فى العلاقات المستمرة المنظمة اجتماعيا أو دينيا، لكنه ليس بالضرورة غاية المراد، أو كل الإيجابى لكل مراحل النمو

إن تحديد الفرق، بين "الحب"، و بين أن "نلعب حبا"، هو أمر مهم على الأقل من الناحية النظرية

هذه الوجبات السريعة، على فرض سماح المجتمع، وتماشيها مع منظومة قيم صاحبها، يمكن

مطلق) **إنت وبس اللى حبيبى**(، وبالتالى فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشارَكة"، أو"احتما‌ت بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر، وربما هذا هو الذى أعطى **للعلاج الجمعى مشروعيت وأفضليت أحيانا**، وهذا ما تقوله الفقرة قبل الأخيرة.

لكن العين الداخلية المتوجسة الناقدة المرتعبة تسارع بنفى حتى هذا احتمال أيضا، ربما لفرط الخوف من القرب حتى أنها تعمم الإنكار إلى الناس جميعا" **طب فين الناس؟**"، فهى لم تقصر إنكارها للآخر على افتقادها لوجود فرد آخر مشارك يتخلى، وإنما بالغت حتى عمّمت هكذا:

(5)

بتقولوا ان الدنيا الواسعَ:

عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة

إ بالناسْ!!

طَبْ فِين الناس؟؟

إن الشك فى احتمال وجود الناس بهذا الحسم، يعقبه تأكيد جديد على الخوف من الترك، والهجر، والإلغاء:

"**حاتكون مش فاكر حتى انا مين،.... أو كُنَّا فْ إي**"

حين يصل الأمر إلى هذا المستوى من الرؤية، يتبقى إ إعلان اليأس من الحب، ولو بوضع شروط معجزِة ستمراره، ولو بمحاولة تهيئة ظروف لضمان تجديده بلا توقف.

تنتهى القصيدة بإعلان اليأس الساخر تسليما عبثيا بالموجود المُفرغ من كل حب!!

ما فيش احسن مالحب العيرَةْ،

واللعب اللى مالوش تسعيرة

بس إوعى يا روحى تجيب سيرة

والآن إلى المتن مجتمعاً:

(1)

والعين الهادية الناعمة:

بتقول أنا اهُ

أنا مِشْ خايف

لو ‌قى حد يقرّب لى

وقينى برضُ بأقرَّب ل

حاخده بالحضن،

وكِانى باحب

ميتّى رايق، و هاديْ، وخضراً...'

.....وخلاصْ.

والعين الهادية الناعمةْ، بتقول أنا اهُ.،

أنا مِشْ خايف،

لو قى حد يقرّب لى،

وقينى برض بأقرّب ل،

حاخده بالحضن،

وكِانى باحب."

(2)

أن تعد ممارسة لذيذة أو مفيدة، باعتبارها أيضا حق طبيعي لجوع طبيعي، ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية فى حركتها النمائية طول الوقت، ولا هى غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله

الخوف من العلاقة الممتزة، هو خوف من التخلى قبل الأوان، خوف من الخداع، من عدم تبادل مغامرة الخوض فى علاقة، ويبدو أنه هو السبب فى إفساد كل مستويات التقارب.

أنه لا يوجد ما يطمئن فى كل ما حوله ومن حوله، وبالتالى فإنه بإصراره على إبعاد الآخر الحقيقى (إن وجد أو وعد)، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه ابتداء، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته.

أعلن الداخل صراحة أن "الخوف من الحب" ليس خوفا من الحب ذاته، بقدر ما هو تحسّبا للترك، يتعاظم هذا الخوف لدرجة الرضا بالموت جوعا، أو الموت شللا بلا حراك، تجنبا لهذا الرعب من الترك

لكن الموت الواحد، أمرٌ حتمى ومقدَّر
أما فى بستان الحب، فالخطر الأكبر:

والعين التانية جوّاهاْ بتقول عنـْدِكْ:
باين على شكلِك مش خايف؟
خايفة ليقولوا عليكى هايفة؟
دانا خوفى اتجمّد من خوفى،
دانا خايف أخاف.
والميـة هاديا عشانِ بِركـَة،
مش نيلْ و بحـْـر.
مشوارى طويلْ.
خلّونى فْ حالي.
البِنْـج حَـلالِـى.
موتِى بيحلالى، يا خــالى.

(3)

عايزنّى أصحَى؟
وجهنّم خوفى مالْيانِى،
كما إبر التـلْج المحميّة؟!
والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّا!!!؟
من حقـي أبعدهم عنـى،
و أيّها حاجة تطمِّنّـى.
أعملها وكإنّـِى كإنّـِى،
أتمايلْ، يتـقربْ مِـنّى.
أرسمْها: عايزة، ومـَغْمُوزَةْ،
أشاورْ لـُـ، يفتحْ لـى كازوزةْ.

(4)

مانا لو حاصْحَى،
ما انَا زمْ اخافْ
وأموتْ مالخوفْ
وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِسْ.
وانا خايف أحِسْ، وخايفَةْ أبُصْ
خايفة أطمع فْ وجوْدك جـَنـْبِى
على ما اصـْحَى وامُوتْ وارْجَـعْ أصـْحَـى،
حاتكونْ مش فاكر حتى انا مين
أوْ كُنـّا فْ إيا.

(5)

بتقولوا ان الدنيا الواسعَـ:
عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة
إ بالناسْ!!
طَـبْ فين الناس؟؟
ما فيش احسن مالحب العيرَةْ،

أن تنسونى فى الظل
ألا يغمرنى دفء الشمس
أو يأكل برعم روحى دود الخوف،
فتموت الوردة فى الكفن الأخضر،
لم تتفتح،
والشمس تعانق من حولى كل الأزهار،
هذا موت أبشع

العلاج النفسى هو فن تقدير التناسب بين جرعات الرؤية، وصعوبة الموقف، وقدر الخوف، ثم هو فن تقسيم هذا التقدير على مراحل العلاج المختلفة ما أمكن ذلك

إن ضمان التخفيف من رعب "الترك" (الهجر)، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استبعادية بشكل مطلق (إنت وبس اللى حبيبى)، وبالتالى فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشارَكة"، أو"احتمالات بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر

بتقولوا ان الدنيا الواسعَة:
عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة
إلاّ بالناسْ!!
طَبْ فين الناس؟؟

أستبعد من هذه العلاقات ال "قواء قواء" و"علاقات الدعارة

واللعب اللى مالوش تسعيرة

بس إوعى يا روحى تجيب سيرة

.....

.....

ونواصل السبت القادم لقراءة اللوحة الخامسة: "النداهة"

– [1]يحيى الرخاوى: (2018) كتاب "فقه العلاقات البشرية" (3) (عبر ديوان: "أغوار النفس" (**"قراءة فى عيون الناس" (خمس عشرة لوحة)**، الناشر: جمعية الطب النفسى التطورى – القاهرة.

– [2]كما ألمحنا سابقا بما فى ذلك مثل ما ورد فى الكتاب الثانى قصيدة" **الحمام الزاجل** "وغيرها

–[3]أستبعد من هذه العلاقات الـ "قوام قوام" و"علاقات الدعارة "مع أنها مثال جيد للعلاقات (اللاعلاقات) السريعة المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إ فى حدود قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا. لكن حتى فى علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها – بما تقوم به من احتما ت الحب والتواصل – ليست ضمن شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصفقة، هذا ما أخبرنى به صديق له فى هذه الأمور عن بعض خبرته فى الخارج، حين رفضت المرأة الفاضلة بائعة الهوى أن يقبل صديقى شفتيها، مشيرة إلى أن عليه أن يلتزم بمنطقة السماح: نصفها الأسفل وما يعلوه حتى الرقبة!!!

"مع أنها مثال جيد للعلاقات (اللاعلاقات) السريعة المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إلا فى حدود قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا

حتى فى علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها – بما تقوم به من احتمالات الحب والتواصل – ليست ضمن شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصفقة، هذا ما أخبرنى به صديق له فى هذه الأمور عن بعض خبرته فى الخارج

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:
http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD150723.pdf

إرتباط كامل النص
https://rakhawy.net/%d9%81%d9%82%d9%87-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%8a%d8%a93-%d8%b9%d8%a8%d8%b1-%d8%af%d9%8a%d9%88%d8%a7%d9%86-%d8%a3-4/

***** ****** *****

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

*** *** ***

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الرابع عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 21 على الويب

22 عاما من الكدح... 21 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

التحميل من الموقع العلمي

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2022.pdf